لقد شايع السير «أحمد خان» مذهب الدين الطبيعي (Deism) الذي شاع في أوروبا في القرن الثامن عشر ليجرد المسيحية والغيبيات وليتسق في زعمه مع روح العلم، ولا حاجة بنا إلى الرد عليه لأنه لا سبيل إلى إنكار الغيب فهو من أصول الإيمان، وقد ورد في أول سورة البقرة، بل ذكره الله قبل الصلاة وقبل الزكاة وهما من أركان الدين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3].

ولكن الشعور بالدونية تجاه الفكر الأوروبي ساقه إلى هذا الشطط في تطويع الإسلام لروح العلم.[1]

أظننا لسنا في حاجة إلى التأكيد على أن بديع الزمان، سعيد النورسي، لم يقبل الفلسفة اليونانية والغربية الحديثة، ويرى أنهما السبب في إحداث البلبلة في محيط الحياة الإسلامية، وأنه يعتقد أن القرآن الكريم حافل بالدلائل العقلية والوسائل الإقناعية للتأكيد على حقيقة الألوهية، ويدعو إلى المحافظة على ذاتية الأمة وشخصيتها المميزة.

إشكالية السقوط الحضاري عند النورسي:

المتأمل في كتابات النورسي، يجد مفكرنا مهمومًا بإشكالية السقوط، الحضاري، ويريد أن يبث القيم والمفاهيم التي تأخذ مجتمعه إلى طريق النور والتقدم.

فكان بحق رائدًا من رواد المقاومة الفكرية في المجتمع العثماني الحديث، إذ تجسدت في جهوده وراثة الأنبياء في العلم والعمل.[2]

(1) د. أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص38.

(2) د. عمار جيدل: بديع الزمان وإثبات الحقائق الإيمانية، طبعة أولى2001، ص8.

فيربط بديع الزمان علاقات المسلمين بالغرب سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا ببعض الشروط فيقول: أرجو أن تعوا أوروبا على قسمين: أوروبا التي تخدم البشرية بالصناعات النافعة، وأوربا التي أخذت كل ما يبغضه الإسلام والدين المسيحي الخالص ويقول: لا تفهموني خطأ فأنا لا أخاطب أوروبا التي ساقت البشرية إلى الضلالة والسفاهة واعتبرت سيئات الحضارة حسنات وارتمت في أحضان الطبيعة.

ويتضح من قوله هذا أنه بمدح الغرب من ناحية خدمته ونفعه البشرية ويرفض الغرب من الناحية الأخرى وهي دفعه البشرية إلى الضلالة بواسطة الفلسفة.

إن رسائل النور لا تهاجم الفلسفة مطلقًا بل تهاجم الفلسفة التي تستند إلى الثقافة الغربية التي تهدم البشرية والأخلاق.[1]

ويعتقد النورسي - أن الغرب تآمر على الخلافة، ولم يكن في وسع المرء تصور إزالة الخلافة بتلك السرعة التي جرت بها، فقد كان هم أعداء الإسلام هو تمزيق وحدة الدولة العثمانية بغية طعنها الطعنة الأخيرة بضرب الخلافة الإسلامية في الصميم.[2]

قال «لورانس»: علينا أن ندفع بالغرب لانتزاعه حقوقه من تركيا بطريق العنف.. لأننا بهذا نقضي على خطر الإسلام وندفع به (أي الإسلام) لإعلان الحرب على نفسه وبذلك نمزقه من القلب. إذ ينهض في مثل هذا الصراع

(1) انظر: بديع الزمان سعيد النورسي: المثنوي العربي، ص206، د. سمير رجب محمد: الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي، بديع الزمان سعيد النورسي، ص216.
(2) د. سمير رجب محمد: المرجع السابق، ص27.

خليفة في تركيا وخليفة في العالم العربي ويخوض الخليفتان حربًا دينية وبذلك يقضى على خطر الخلافة الإسلامية بصورة نهائية.

وتم إلغاء الخلافة سنة 1924م بعد موافقة المجلس.[1]

لقد أدرك النورسي زمانه الحضاري إدراكًا عميقًا سواء أكان ذلك في العالم الإسلامي أم في خارجه. عرف الحضارة المادية الحديثة في منجزاتها، ومع ذلك عرف كفرها وضلالها وخروجها على طاعة ربها، وتخريبها لفطرة الكون والحياة والإنسان. وقبل ذلك كان قد علم بالمرحلة الأخيرة التي يمر بها العالم الإسلامي، مرحلة التأخر والسقوط الحضاري والخواء الإيماني.[2]

لاحظ النورسي أن المجتمع الإسلامي برمته ينحدر في مظاهر حياته انحدارًا سريعًا، واكتشف أن غزوًا فكريًّا منظمًا يُشن على العقيدة الإسلامية وشريعتها المنبثقة من أصولها وقيمها النابعة من فروعها، ابتداءً من الدوائر الأجنبية، وانتهاءً إلى أجهزة إعلام الانقلابات الكمالية التي كان يقودها الملاحدة والمنافقون والإباحيون من الماسونيين وغيرهم ممن تشبعوا بالأفكار الغربية وفلسفاتها العنصرة الجاحدة.

لقد تأكد للنورسي أن الإسلام أصبح في خطر ساحق ماحق إيمانًا وعقيدة وشريعة وحضارة ولغة وتاريخًا ورجالات، وبمخطط واضح تسنده مقررات مؤتمر (لوزان) تباركه أوكار التآمر العالمي ضد الإسلام، وتقوده في الداخل قوة طاغية دموية غاشمة لا ترحم وقررت القيام بتصفية جسدية رهيبة لكل من يقف في طريق الطاغوت الكبير في تغيير هوية

(1) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(2) د. محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، سوزلر للنشر، ص72.

الأمة وسلخ جلدها، و إدخالها في حضارة كافرة لا صلة لها بها، دينًا ولغة وتاريخًا وحضارة.[1]

لقد تنبه سعيد النورسي إلى خطورة السقوط الحضاري، وكان واعيًا، بأنه في القرن التاسع عشر تحولت عدة شعوب إسلامية من جديد إلى التقوقع داخل حدودها وانتشر تيار القومية في البلدان الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. وقد أدى هذا التيار السياسي إلى نشأة عدة دول مستقلة ومنها جمهورية باكستان الإسلامية، في حين أن تركيا قد اتخذت لنفسها النهج العلماني في شئون الدولة بالرغم من أن غالبية الأتراك يشعرون بأنهم مسلمون متدينون. ولم يكن غريبًا على العارف بطبيعة الأتراك أن يرى اليوم عودة التيارات الأصولية إلى الظهور من جديد، وهي في صراع مستمر مع القوى العلمانية في الدولة فيما يتعلق بالدور والمعيشة المتطلع نحو الغرب الأوروبي باستمرار.[2]

فيعتب هذا العصر - أي عصر النورسي - عصر محاولة نفي و إقصاء الخطاب السياسي، لهذا حورب كل مظهر من مظاهر العودة إلى الخلافة أو ما يقرب منها حتى بلغ المر ببعض عتاة العلمانيين أن منعوا التزي بزي العلماء (كالجبة والطاقية و....) كل ذلك خشية عودة الناس إلى الفكرة بتذكر الشكل المعبر عنها.[3]

(1) د. محسن عبد الحميد: المرجع السابق، ص 72 - 73.

(2) آنا ماري شيمل: الإسلام دين الإنسانية (سلسلة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)، العدد (60)، ص48.

(3) عمار جيدل: بديع الزمان و إثبات الحقائق الإيمانية، ص44.

إزاء هـذه المواقـف والأحـداث كان ولا بد من موقـف لعالمنا النورسي، يعبر عن وجهته الإصلاحية التى قد نذر نفسـه لها، وهذا ما سـنحاول إلقاء الضوء عليه في الصفحات القادمة؟

موقف سعيد النورسي الإصلاحي:

أشرنا آنفًا إلى لحظة السـقوط الحضـاري - في رأي النورسي - التى تعانيها الحضارة الإسلامية فذهب يشخص الداء والدواء.

ففـي البدايـة يضع مفكرنـا يده على أس الـداء والبلاء في هـذه الحضارة فيقول: إن الحضارة الأوروبية المؤسسة على أسس فاسدة والتي تدعي أن كل ما أتاها هو من عندها كادعاء قارون في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: 78]. فلا تشكر ربها التي أحسن إليها بفضله وكرمه تعالى، والتي رجحت كفة سـيئاتها على حسـناتها حيث سـقطت في الشرك بفكرها المـادي الملوث. إن هذه الحضارة تلقت صفعة سـماوية قوية بحيث أباحت محاصيل مئات السنين من رقيها وتقدمها.[1]

هـذا في الوقـت، الذي يشـير فيه النـورسي إلى بعض سـمات الحضارة الإسـلامية، فهـي حضـارة أخلاقية لأنها تحقق العدالة، وتنشـئ السـلام، وهدفها تأصيل الفضيلة، كما أنها حضارة إنسـانية لأنها تسـعى إلى تحقيق الخير للبشريـة جميعًا بدلًا مـن التوجه لتحصيل منافع فرديـة أو عرضية، تقوم على تعميق أسـس التعاون بدل الخصـام، وتقوية أواصر الاتحاد بدلًا من الصراع. وهي حضارة إيمانية لأنها تنور المجتمع بهدي الله، وتكف عن

(1) بديع الزمان: الملاحق (7)، ص109.